

المذهب الأشعري وأصوله

أهداف الدرس

1. أن أتعرف المذهب الأشعري وأصوله؛
2. أن أثبت طرق الأشاعرة في الرد على المخالف؛
3. أن أتمثل أصول المذهب الأشعري اعتقاداً وسلوكاً.

تمهيد

لما ظهرت مقالات الفرق الكلامية كالخوارج والمرجئة والمعتزلة واشتهرت، وعظمت البلوى بفتنتهم على أهل السنة وانتشرت، انتدب للرد عليهم ومناظرتهم الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله، فأسس مذهباً مستقلاً على أصول أهل السنة، وصنف في ذلك التصانيف.

فما هو المذهب الأشعري؟ وما هي أهم أصوله؟

نص الانطلاق

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله: «... وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين فتوسط بين الطرق، ونفى التشبيه، وأثبت الصفات المعنوية، وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف، وشهدت له الأدلة المخصصة لعمومه فأثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق النقل والعقل، ورد على المبتدعة في ذلك كله، وتكلم معهم فيما مهدوه لهذه البدع من القول بالصلاح والأصلح والتحسين والتقبيح وكمل العقائد في البعثة وأحوال المعاد والجنة والنار والثواب والعقاب، وألحق بذلك الكلام في الإمامة؛ لما ظهر حينئذ من بدعة الإمامية من قولهم إنها من عقائد الإيمان، وإنه يجب على النبي تعيينها والخروج عن العهدة في ذلك لمن هي له، وكذلك على الأمة». [العبر، 1/587].

الفهم

الشرح:

- **السلف:** هم المسلمون الأوائل من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.
 - **الصلاح والأصلح:** الصلاح ما قابل الفساد، والأصلح ما قابل الصلاح.
 - **الخروج عن العهدة:** إبراء الذمة.
- **استخلاص المضامين:** أستخلص من النص بعض خصائص المذهب الأشعري وأهم أصوله.

التحليل

نتناول في هذا الدرس مسألتين:

المسألة الأولى: التعريف بالمذهب الأشعري

العقيدة الأشعرية هي عقيدة أهل السنة والجماعة، التي كان عليها الصحابة والتابعون وأتباعهم، ذلك أن الإمام أبا الحسن الأشعري جاء في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع فجمع قضاياها ورتب مسائلها وألف فيها التآليف وأقام عليها الحجج والبراهين من الكتاب والسنة والدلائل العقلية، وبذلك نسبت إليه؛ يقول تاج الدين السبكي رحمه الله: «اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً، وإنما هو مقرر لمذاهب السلف مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه».

[طبقات الشافعية الكبرى، 3/347].

فالمذهب الأشعري إنما هو امتداد لمنهج السلف القائم على الكتاب والسنة والدلائل العقلية، غير أن المتقدمين منهم غلبوا جانب النقل والتفويض، والمتأخرين غلبوا جانب العقل والتأويل، وقد كان للإمام أبي الحسن الأشعري أثر كبير في قيام المذهب والتنظير له ونشره وإبطال عقائد مخالفه من المعتزلة وغيرهم، وألف العديد من المؤلفات قال العلامة القاضي عياض: «فلما كثرت تواليه، وانتفع بقوله، وظهر لأهل الحديث والفقهاء ذبُّه عن السنن والدين، تعلّق بكتبه أهل السنة، وأخذوا عنه، ودرسوا عليه، وتفقهوا في طريقه، وكثر طلبته وأتباعه لتعلم تلك الطرق في الذب

عن السنة، وبسط الحجج والأدلة في نصر الملة، فسُمُّوا باسمه». [ترتيب المدراك، 24/5].

المسألة الثانية: أصول المذهب الأشعري

للمذهب الأشعري أصول وقواعد انبنى عليها وتأسس، من أهمها:

أولاً: المزاجية بين النقل والعقل

من الأصول التي قام عليها المذهب الأشعري المزاجية والموازنة بين النقل والعقل؛ أي الجمع بين مقتضيات الشرائع وموجبات العقول، وأنه لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول، بل العقل مع الشرع نور على نور، فكان في ذلك وسطاً بين جمود الحشوية على التقليد واتباع الظواهر، وبين تغلغل الفلاسفة وغلاة المعتزلة في تصرف العقل وتحكيمه حتى صادموا به قواطع الشرع، وأتَّى يستتب الرشاد لمن يقنع بتقليد الأثر والخبر، وينكر مناهج البحث والنظر، أو لا يعلم أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر ﷺ، وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر، وكيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر؟ [الاقتصاد في الاعتقاد، ص 9 بتصرف].

ثانياً: إثبات الصفات الأزلية لله عز وجل

من الأصول التي قررها أئمة الأشاعرة وأثبتوها لله عز وجل الصفات الأزلية كالوجود والحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، وفي هذا الأصل رد على المعطلة الذين نفوا هذه الصفات فراراً من تعدد القدماء، ولم يفرقوا بين التعدد في الذات المنافي للتوحيد، والتعدد في الصفات من غير جنس واحد الذي لا تنفك عنه الذات عقلاً وأثبتته الوحي نقلاً، وقد صرح أبو الحسن الأشعري رحمه الله بالرد عليهم فقال: «قالت الجهمية: إن الله لا علم له، ولا قدرة، ولا سمع له، ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد، والتكذيب بأسماء الله تعالى، فأعطوا ذلك له لفظاً، ولم يحصلوا قولهم في المعنى». [الإبانة عن أصول الديانة ص 123].

ثالثاً: نفى الغرض عن أفعال واجب الوجود سبحانه

من الأصول التي قررها علماء الأشاعرة رحمهم الله «أن ما أبدعه الله من خير وشر ونفع وضر لم يكن لغرض قاده إليه ولا لمقصود أوجب الفعل عليه، بل الخلق وعدمه بالنسبة إليه سيات؛ لأنه يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن وتركه ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، وبالحقيقة الأفعال كلها

لله جل جلاله، والخلق بأجمعهم له، صرفهم كيف شاء، وحكم بينهم بما أراد، وأنه لا يجب عليه تعالى رعاية الصلاح والأصلح بمقتضى التحسين والتقبيح العقليين، وذهبت طوائف المعتزلة إلى أن الباري تعالى لا يخلو فعله عن غرض وصلاح للخلق؛ إذ هو يتعالى ويتقدس عن الأغراض وعن الضرر والانتفاع، فرعاية الصلاح في فعله واجبة نفياً للعبث في الحكم عن حكمته، وإبطالا للفسه عنه في إبداعه وصنعتة، ثم بنوا على وجوب رعاية الصلاح والأصلح وجوب الثواب على الطاعات ووجوب العقاب وإحباط العمل على العصيان ووجوب قبول التوبة». [غاية المرام في علم الكلام، الأمدي ص 224 بتصرف].

رابعاً: عدم تكفير مرتكب الكبيرة

من أصول المذهب الأشعري أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه، فيظل مؤمناً عاصياً إن شاء الله غفر له بفضل أو عذبه بعدله، وإلى هذا أشار الإمام أبو الحسن الأشعري بقوله: «وأجمعوا على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه النبي ﷺ إلى الإيمان به لا يخرج عنه شيء من المعاصي، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيهم». [رسالة إلى أهل الثغر، ص 274].

خامساً: إثبات أحوال المعاد والجنة والنار والثواب والعقاب

جمهور المسلمين على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، خلافاً لأبي هاشم والقاضي عبد الجبار ومن يجري مجراهما من المعتزلة؛ حيث زعموا أنهما إنما يخلقان يوم الجزاء ويرد عليهم بوجهين:

1. قصة آدم وحواء عليهما السلام وإسكانهما الجنة ثم إخراجهما منها بأكل الشجرة وكونهما يخرسان عليهما من ورق الجنة كما قال تعالى: ﴿بَلَّغْنَا مِنْهَا أَقْبَدَتْ لَهَا سَوْءَاتُهَا وَهِيَ غَائِبَةٌ عَنْ عَيْنَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: 118]. وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالفين.

2. الآيات الصريحة في ذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَرَأْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَارٍ أَوْ لَهَبٍ وَكَلَّمَنَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَامَ وَسْوَءَ النَّارِ وَكَلَّمَنَّا زَكَرِيَّا إِذْ هُوَ نَذِيرٌ﴾ [النجم: 13-15]، وقوله سبحانه: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَتِي مِنِّي رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 133]. وإلى تلخيص هذا الأمر أشار الأمدي بعد مناقشته للمخالفين في ذلك بقوله: «... هذا حكم الحشر والنشر وعذاب القبر ومساءلته ونصب الصراط والميزان وخلق النيران والجنان والحوض والشفاعة للمؤمن والعاصي والثواب

والعقاب ، فكل ذلك ممكن في نفسه أيضا ، وقد وردت به القواطع السمعية والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من السلف ومن تابعهم من الخلف مما اشتهاره مغن عن ذكره ، فوجب التصديق به والإذعان لقبوله والانقياد إليه والتعويل عليه على وفق ما اشتهر عن النبي ﷺ وصحابته والعلماء من أمته» . [غاية المرام ، ص 301] .

التقويم

1. أعرف بالمذهب الأشعري وعلاقته بالمذاهب الكلامية .
2. أبين موقف الإمام الأشعري من إعمال العقل والنقل في الاستدلال العقدي .
3. أعرض مذهب أبي الحسن الأشعري في مرتكب الكبيرة مع الاستدلال .

الاستثمار

قال تقي الدين السبكي رحمه الله: «وما نقموا من الأشعري إلا أنه قال بإثبات القدر لله خيره وشره ونفعه وضره وإثبات صفات الجلال لله من قدرته وعلمه وإرادته وحياته وبقائه وسمعه وبصره وكلامه ووجهه ويده ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه تعالى موجود تجوز رؤيته ، وأن إرادته نافذة في مراداته ، وما لا يخفى من مسائل الأصول التي تخالف طريقه طريق المعتزلة والمجسمة فيها» . [طبقات الشافعية الكبرى ، 3 / 405] .

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1. أستخرج بعض أصول المذهب الأشعري زيادة على ما سبق .
2. لماذا نقم بعض الفرق الكلامية على أبي الحسن الأشعري؟

الإعداد القبلي

أراجع مصادر الأشاعرة ، وأبحث عن الآتي:

1. أهم مدارس المذهب الأشعري في المشرق والمغرب .
2. مميزات هذه المدارس .